

ABSTRACT

The main theme of the science of qira'at is the diversities in recitations of the Quran. It is based on the statement of the Holy Prophet *sallAllaho alaihi wasallam* that the Quran was revealed in seven *ahraf*.

Scholars have given various interpretations of the term *ahraf*. Allama Jalaluddin Suyooti has cited thirty five versions. But he has not attempted to synchronize them. The adversaries of Islam, who never miss an opportunity to find faults with the teachings of Islam, have tried to take benefit of these differences of opinion. They take the position that the wide differences of opinion in fixing the meaning of the term indicate that the Holy Prophet *sallAllaho alaihi wasallam* never gave this statement. They try to lead to the logic that the diversity of qira'at does not go back to the Holy Prophet *sallAllaho alaihi wasallam*, and that the term is a fabrication of the lexicists.

In this paper the author has tried to explain that these diversities are not opposed to one another. They have emerged as a result of the diverse trends of the times, peculiarities of the lands, and the academic levels of the scholars; and this is but natural. Therefore this is an unjustified pretext to refute the hadith the qira'at. All interpretations are correct in their particular frames of reference.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

تاج أفسر*

لقد اتسع الخلاف في المراد من الأحرف السبعة إلى خمس وثلاثين قولاً. وكل قول يخالف الآخر. ومن ثم استدل من يخالف القراءات القرآنية بأن هذا التوسع يتسبب للانتشار والتفرق بين الأمة. وجاءوا بحل ذلك إنكار هذه القراءات القرآنية. ففي هذه المقالة الوجيزة نتعرض لأسباب اختلاف العلماء في مسألة علي وجه عام وفي الأحرف السبعة علي وجه خاص. والحقيقة بأن الاختلاف علي نوعين، اختلاف تناقض وتضاد واختلاف بيان وتوضيح. أما الأول فهو يتسبب للاشكال في الوصول الي الحقيقة. وأما الثاني فهو تعدد المفظوظ دون المفهوم وذلك لاختلاف أحوال المخاطبين وتعدد الأماكن والأزمان وتنوع العلوم. وهذا النوع من الاختلاف فطري لا عيب فيه. بعد ذكر أسباب الاختلاف ننقل آراء العلماء في الأحرف السبعة ثم نجمع بينها ليتبين أن المراد واضح لا غبار عليه وهو غير مانع من فهم الحقيقة. وليس هو اختلاف تناقض وتضاد، فنقول وبالله التوفيق.

أسباب الاختلاف

الاختلاف هو ضد الاتفاق، والمراد بذلك عند أهل العلم هي الآراء المتعددة في مسألة واحدة. وله أسباب ومقاصد.

أولاً: التوضيح. قد نجد كلمة غامضة يسهلها الآخرون بقصد التوضيح، فقبيلة تعبر بكلمة، والأخرى تعبر بتعبير آخر ومرامهم واحد. ومثل ذلك ما رواه الحاكم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لواء رسول الله ρ مع علي τ ، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة τ .⁽¹⁾ بينما يروي معمر عن عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس: إن راية رسول الله ρ مع علي، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة.⁽²⁾ فعبّر أحياناً ب"لواء" وتارة ب"راية" ولم يقصد بذلك إلا التوضيح وشرح المقصود، فليس الاختلاف جوهرياً وإنما الخلاف لفظي والنسبة بينهما كنسبة المتن والشرح وليس التباين والتناقض.

ثانياً: اللغة. لا شك بأن اللغة العربية أكثر اللغات توسعاً وأداءً⁵

* الأستاذ المساعد، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

لإبلاغ المراد، فقبيلة تقصد شيئا والأخرى تقصد شيئا آخر ويحمل كل منهما على محله ولا يعتبر هذا تناقضا. مثال ذلك في قوله تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ] (البقرة: 13) فالسفيه هو الجاهل بلغة كنانة⁽³⁾، والسفيه هو الخاسر بلغة طي⁽⁴⁾، ولو تعمق القاري فيه لوجد أن الخلاف لفظي فالجاهل خاسر ولا منافاة بين المعنيين.

ثالثا: اختلاف الفهم والادراك. فقد يفهم السامع من كلمة مفهوما والآخر يأخذ مفهوما آخر. مثال ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: {إلا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم} ⁽⁵⁾ ففهم كل واحد من الفريقين غير ما فهمه الآخر والنبي ﷺ حسن شأن كل واحد منهما.

رابعا: اختلاف العرف والأزمان. كاختلاف السلف والخلف في متشابه الصفات، فالسلف كانوا يفوضون معناها إلى الله تعالى لأنه لم يظهر أذاك المصطلحات اللغوية والفروق البلاغية، فعندما شاعت هذه وضح الخلف معناها فقلوا بأن المراد من اليد هي القوة، والمراد من الاستواء الاستيلاء والقدرة،⁽⁶⁾ وهذا الكلام على سبيل الاستعارة والكنية، بينما سئل الإمام مالك عن الاستواء فقال إن الاستواء معلوم والكيف مجهول.⁽⁷⁾ فالخلاف بين السلف والخلف ليس جوهريا وإنما هو لفظي.

خامسا: اختلاف المخاطبين. فقد يكون سبب الاختلاف في الكلام بحسب جهل المخاطبين وعلمهم. فالنبي ﷺ علم الأمة طريق الخطاب المختلف لكل منها، فقد أكد بدخول الجنة من عمل عملا صالحا من أفضاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل كما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن سلام أن النبي ﷺ قال: {أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام}⁽⁸⁾. وأحيانا فوض أمر المطيعين والعاصين إلى الله تعالى كما أخرج الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها وفيه: {يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم}⁽⁹⁾.

سادسا: اختلاف طبائع الأفراد. فإذا كان الكلام له خلفية خاصة من جهة السائل يجاب عليه وفق طبيعته كما سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فأحيانا

أجاب بقوله الإيمان بالله⁽¹⁰⁾ وقد أجاب بقوله إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته أو كسوت عريه أو قضيت له حاجة⁽¹¹⁾ وقد أجاب بقوله : الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله⁽¹²⁾ فالنبي م أجاب عن سؤال كل واحد منهم بإجابة مختلفة لما رأى من شأن كل سائل مع أن السؤال واحد، وهو أي الأعمال أفضل؟.

فهذه أسباب الاختلاف التي ثبت فيها بأنها فطرية ولم يظهر فيها بأنها متناقضة

الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

كلمة "الأحرف" مشتركة وتطلق على عدة معان. و"السبعة" أيضا قد يراد بها الكثرة وقد يقصد بها العدد المعين. أما الأحرف فهو جمع حرف يأتي بمعنى الأدوات التي يقصد بها الربط بين الإسمين أو إسم وفعل، كما يقال جنت من البصرة⁽¹³⁾.

والحرف هو قمة الجبل، يقال : ترى له حرفا دقيقا مشفيا علي سواء ظهره⁽¹⁴⁾ والحرف من الإبل السابق على غيره. وفلان على حرف من أمره أي على ناحية وطرف بمعنى أنه متطرف في أموره. ومنه قوله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ] (الحج : 11) وفسره بقوله : [فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ] (الحج : 11). والحرف يطلق على وجه من أوجه اللغة وعلى القراءة أيضا، كما يقال: حرف ابن مسعود، وحرف أبي بن كعب، أي قراءتهما⁽¹⁵⁾.

أما السبعة، فقد يقصد بذلك الكثرة وقد كثر استعماله عند العرب، وقد قال الله تعالى : [مَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ] (البقرة : 261). وفي الحديث: {فالصيام لي وأنا أجزى به، كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف}⁽¹⁶⁾ فالمراد منه التوسع في الجزاء⁽¹⁷⁾.

تعدد الأقوال في مفهوم الأحرف السبعة

لقد نقل السيوطي عن ابن حيان البستي (354 هـ) خمسة وثلاثين قولاً. نذكرها بالإجمال ثم نقارن بينها لتبين الحقيقة.

1. قال القاضي عياض (544 هـ) بأن المراد منه التوسع وليس عدد السبعة بالضبط⁽¹⁸⁾ ورجحه الإمام شاه ولي الله الدهلوي (1763 م)⁽¹⁹⁾ ويميل إليه المفسر جمال الدين القاسمي من العلماء المعاصرين حيث يقول: والأظهر ما ذكرنا من إرادة الكثرة من السبعة لا التحديد⁽²⁰⁾.
2. قال أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي (213 هـ) بأن حديث {أنزل القرآن على سبعة أحرف} من المشكل الذي لا يدري معناه⁽²¹⁾ ويرجحه

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

الإمام السيوطي حيث يقول: والمختار عندي أنه من المتشابه الذي لا يدري معناه. (22)

3. قيل بأن المراد من الأحرف السبعة هي الأمور التي تتعلق بالاعتقاد والأعمال مثلاً:

- أ. علم التوحيد
- ب. علم الرسالة
- ج. علم الصفات (ككون الله خالقاً رازقاً وغير ذلك)
- د. علم الصفات التي تتعلق بالمغفرة والعذاب، ككونه جباراً قهاراً غفاراً وغير ذلك
- ه. علم بدء الكون
- و. علم الأفعال، كالصلاة والزكاة والصوم والحج
- ز. علم أحوال الجنة والنار (23)

ولا شك بأن القرآن العظيم يشتمل على الأمور المذكورة وقائله ليس بمخطئ، إلا أنه لم يرد بذلك تحديد الأحرف السبعة، بل قصد بذلك العلوم التي يحتوي عليها القرآن العظيم، والدليل عليه قوله عليه السلام: {فاقرءوا ما تيسر منه} لأن الأمور المذكورة تتعلق بالمعاني لا بالمباني.

4. المراد بالأحرف السبعة هي أصول الاستنباط السبعة كالآتي:

- أ. المطلق والمقيد
- ب. العام والخاص
- ج. النص والظاهر
- د. الناسخ والمنسوخ
- ه. المجمل والمفسر
- و. الحقيقة والمجاز
- ز. الاستثناء وأقسامه (24)

5. إن المراد من الأحرف السبعة هي مظاهر التزكية السبعة، وهي المصطلحات التي يستخدمها الصوفية:

- أ. الزهد والإقناع
- ب. خدمة البشر
- ج. الكرم والجود
- د. المجاهدة ضد النفس
- ه. الخوف والرجاء
- و. الصبر على الصعوبات والصبر على الراحة
- ز. التقرب إلى الله والحب إليه (25)

6. المراد من الأحرف السبعة هي أنواع الأحكام السبعة كالآتي:

- أ. الأمر
- ب. النهي
- ج. الوعد
- د. الوعيد
- هـ. الحلال
- و. الحرام
- ز. الضرب والأمثال (26)

لو تعمقنا في هذه الأقوال وجدنا أن الآراء كلها صحيحة ولا منافاة بينها، إذ الأمور المذكورة قد تكلم عنها القرآن الكريم على أتم وجه. ولكن في كونها مصداقا لقوله عليه السلام: {أنزل القرآن على سبعة أحرف} نظرٌ لأن السياق في مفهوم الكلام، وهذا الحديث يدل على ملفوظ الكلام وشتان بينهما، فمن الظاهر أن قائلها كانوا يعلمون تلامذتهم ضمن تخصصاتهم إلا أن المدونين من العلماء أحقوها بما قيل في بيان المراد من الأحرف السبعة. والأصل بأنه لم يقصد من ذلك شرح الأحرف السبعة.

7. أنواع التغيير السبعة

لقد ذكر السيوطي رحمه الله- أقوالا تتعلق بأنواع التغيير في وجوه الأداء باختلاف يسير بين قائلها، فمنها:

أ. قول أبي حاتم السجستاني (27). فيقول بأن المراد من الأحرف السبعة أنواع التغيير السبعة وهي كالآتي:

(1) ابدال كلمة بأخرى، كقوله تعالى: [كَالجَهَنِّ المَنفُوشِ] (القارعة : 5) قرأ عبد الله بن مسعود "كالصوف المنفوش". وفي قراءة متواترة "فتبينوا" في قوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا] (النساء : 94) من البيان، بينما قرأه حمزه والكسائي فتثبتوا من الثبوت.

(2) ابدال حرف بحرف آخر كما أن أهل حمير كانوا يبدلون لام التعريف ميما، فمرة جاء منهم أناس إلى رسول الله ﷺ فسألوا أمن امبر امصيام في امسفر، وأرادوا : أمن البر الصيام في السفر، فأجاب النبي ﷺ: {ليس من امبر امصيام في امسفر} أي ليس من البر الصيام في السفر. (28) وهذيل كانوا ينطقون الحاء عينا، فيقرءون "عتى" عين مكان حتى حين (29) وقرأ حمزة والكسائي هنالك تتلوا مكان تبلوا. (30)

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

(3) التقديم والتأخير، وهو شائع عند العرب، فيقولون عرضت الناقة على الحوض، وعرضت الحوض على الناقة، ويقصدون منهما معنى واحداً، وقرأ الإمام حمزة والكسائي "فَيُقْتَلُونَ" بالبناء للمجهول، وَيُقْتَلُونَ بالبناء للمعلوم (التوبة : 111) خلاف ما قرأه غيرهما من أئمة القراءات بالبناء للمعلوم في الأول وعكسه في الثاني. (31)

(4) النقص والزيادة، في قوله تعالى: [فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ] (المنافقون : 10) قرأ أبو عمرو البصري [فَأَصْدَقَ وَأَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ]. (32)

(5) الاختلاف في حركات البناء. ففي قوله تعالى: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ] (النساء : 37) قرأه الإمام حمزة والكسائي "بِالْبُخْلِ" -بفتحتين على الباء والخاء-. (33)

(6) الاختلاف في إعراب الكلمة. فبنوا حارث بن الكعب يقرءون الرفع والنصب والجر بالالف في المثني فيقولون جاءني رجلان، رأيت رجلان، مررت برجلان، بينما الآخرون يرفعون بالالف وينصبون ويجرون بياء اللين، فيقولون : جاءني رجلان، رأيت رجلين، مررت برجلين. (34) وفي القراءة المتواترة قرأ به الإمام نافع، وابن عامر الشامي، وشعبيه، وحمزة، والكسائي فيقولون: "إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" بدلَ إِنَّ هَذَيْنِ. (35)

(7) الاختلاف في اللهجات والأداء. فمن أهل اللغة من يميل ومنهم من لا يميل، ومنهم من يدغم ومنهم من يظهر.

ب. رأي ابن قتيبة (36) والباقلاني (37). هما يقولان بما قال به السجستاني باختلاف يسير بينهما وهو كآتي :

(1) ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: [وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ] (البقرة : 282).

(2) ما يتغير بالفعل. مثل : فقالوا ربنا بَعَدَ -بصيغة الماضي- وبَاعِدْ -بصيغة الأمر-

(3) ما يتغير باللفظ. مثل : "ننشرها" و"ننشرها" (البقرة : 259)

(4) ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج، مثل : [وَطَلَحَ مَنضُودٍ] (الواقعة : 29) و"طلع منضود".

(5) ما يتغير بالتقديم والتأخير، مثل : [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ] - وسكرة الحق بالموت (ق : 19).

(6) ما يتغير بزيادة ونقص، مثل : الذكر والأنثى - بدل [وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى] (الليل : 3).

(7) ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى، مثل : [كَالْعَيْنِ الْمَفْشُوشِ] وكالصوف المنفوش (القارعة : 39).⁽³⁸⁾

ج. قول أبي الفضل الرازي⁽³⁹⁾، فأنواع التغيير عنده كالآتي:

(1) اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، نحو قوله تعالى: [وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ] (المعارج : 32) فقرأ أمانتهم -بالإفراد-⁽⁴⁰⁾.

(2) اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، مثل قوله تعالى: [بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا] و"بعد بين أسفارنا" (سبا : 19)

(3) اختلاف وجوه الإعراب، مثل [وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ] (البقرة : 282) بفتح الراء وضمها، فإن الرسم يحتملها.

(4) اختلاف النقص والزيادة، كما سبق ذكره.

(5) الاختلاف بالتقديم والتأخير، كما سبق ذكره.

(6) الاختلاف بالإبدال، وقد سبق ذكره.

(7) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل ونحو ذلك.⁽⁴¹⁾

د. قول ابن الجزري⁽⁴²⁾، ووجوه التغيير عنده كالآتي:

(1) التغيير في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، نحو: البخل - بضم الباء وسكون الخاء، وقد قرئ بفتحهما.

(2) التغيير في الحركات مع التغيير في المعنى فقط، نحو: [فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ] (البقرة : 37) برفع آدم ونصب كلمات جرا على أنه جمع المؤنث السالم، وقد قرئ بنصب الأول ورفع الثاني.

(3) التغيير في الحروف مع تغيير في المعنى دون الصورة، نحو: تبلوا وتتلوا (يونس : 30).

(4) التغيير في الحروف مع تغيير في الصورة دون المعنى، نحو: الصراط، والسرراط.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

(5) التغيير في الحروف مع التغيير في المعنى والصورة معا، نحو: فامضوا، وفاسعوا.

(6) التقديم والتأخير، على نحو ما قال ابن قتيبة وأبو الفضل الرازي.

(7) الزيادة والنقصان، على نحو ما قالوا. (43)

المقارنة بين الآراء المذكورة

لو بحثنا في الأقوال الأربعة الأخيرة، لوجدنا أن الفرق بينها ليس فرقا جوهريا، وإنما هي تعبيرات مختلفة تؤدي مفهوما واحدا ويوضح كل واحد ما قاله الآخر. (44) ومما يؤيد هذا :

أولا: الترتيب الزمني، فقد توفي ابن حاتم السجستاني عام 248هـ، وتوفي ابن قتيبة 276 هـ، وقد تلمذ على السجستاني أيضا. (45)

ثانيا: توفي الباقلائي عام 403 هـ، بينما توفي أبو الفضل الرازي في نفس القرن وهو عام 454 هـ، وتوفي ابن الجزري عام 833 هـ،

ثالثا: كلهم يتفقون على التقديم والتأخير والنقص والزيادة.

رابعا: أبو الفضل الرازي لم يزد على قول ابن قتيبة إلا اختلاف اللهجات، وقد سبق بذلك السجستاني وهو شيخ ابن قتيبة.

خامسا: نرى التوافق التام بين ابن الجزري وابن قتيبة.

8. ذهب الجمهور من أهل القراءات بأن المراد من الأحرف السبعة هي اللغات السبعة، ثم اختلفوا في تلك اللغات التي نزل القرآن بها، فمنهم من قال هي متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيلة مشهورة، ومنهم من قال: بعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وغير ذلك.

وقد ذهب إليه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (46) ناقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما وتعلب (47) والزهري (48) وجمهور أهل اللغة. (49)

هذه هي أهم الأقوال التي ذكرها الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان" ويبدو من الظاهر أن الاختلاف إلى هذا الحد يشوش ذهن القاري حتى لا يصل إلى نتيجة ما، والحقيقة بأن الأقوال الواردة في الباب كلها لا تخرج من خمس مجموعات، نذكرها أولا ثم نعقبها بالتوافق والجمع بينها.

المجموعة الأولى: من العلماء من قال :

- (1) إنه من المشكل الذي لا يدري معناه، كما مرّ سابقاً.
 - (2) المراد من الأحرف السبعة هي الكثرة وليس الحصر في السبعة.
- المجموعة الثانية:** وهذه تشتمل على تذوق أهل الكلام:
- (1) فمن المتكلمين من قال : إن العلوم في القرآن سبعة، وهي : علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، علم صفات الذات، علم صفات الفعل، علم العفو العذاب، علم الحشر والحساب، وعلم النبوات.
 - (2) ومنهم من قال: علم التوحيد، علم الرسالة، علم الصفات الكونية، علم الصفات المتعلقة بالمغفرة والعذاب، علم بدء الكون، علم الأفعال، علم أحوال الجنة والنار.
 - (3) ومنهم من قال: هي آية في صفات الذات، آية تفسيرها في آية أخرى، آية بيانها في السنة الصحيحة، آية في قصة الأنبياء والرسل، آية في خلق الأشياء، وآية في وصف الجنة، آية في وصف النار.
 - (4) ومنهم من قال: هي أسماء الرب سبحانه وتعالى، مثل: الغفور، الرحيم، السميع، البصير، العليم، الحكيم، العزيز.
 - (5) ومنهم من قال: آية في وصف الصانع، آية في وصف الوجدانية له، آية في إثبات صفاته، آية في إثبات رسله، آية في إثبات كتبه، آية في إثبات الإسلام، آية في نفي الكفر.
 - (6) ومنهم من قال: هي سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكيف.
 - (7) ومنهم من قال : إن الأحرف السبعة هي : الإيمان بالله، مباينة الشرك، إثبات الأوامر، مجانبة الزواجر، الثبات على الإيمان، تحريم ما حرم الله، طاعة رسول الله.⁽⁵⁰⁾

هذه الأقوال صحيحة في حد ذاتها، ولكنه ليس عندنا دليل لأن يثبت بأنها توضيح الأحرف السبعة الواردة في الحديث النبوي μ في قوله عليه السلام : {أنزل القرآن على سبعة أحرف}. بل المتبادر أن المدونين من العلماء لم يحتاطوا في إلحاق الأمور العلمية بعضها ببعض- والأصل أن هذه الأقوال قال بها الصوفية من الفلاسفة، وهذا مجال تخصصهم وهو مذكور في كتاب الله تعالى إلا أن تكون كلها مفهوماً للأحرف السبعة فيه نظر، ولم يثبت بأن قائلها ذلك ادعواها.

المجموعة الثالثة: ما قال به أهل الأصول باختلاف يسير بينهم وهي كالآتي:

- (1) المراد من الأحرف السبعة هي محكم، متشابه، ناسخ، منسوخ، خصوص، عموم، قصص.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

- (2) مقدم، مؤخر، فرائض، حدود، مواعظ، متشابه، أمثال.
- (3) هي سبع جهات لا يتعدها الكلام، لفظ خاص أريد به الخاص، لفظ عام أريد به العام، لفظ عام أريد به الخاص، لفظ خاص أريد به العام، لفظ يستغنى بتنزيله عن تأويله، لفظ لا يعلم عنها إلا الراسخون.

المجموعة الرابعة : ما قال به الفقهاء، وهي كالآتي:

(1) الأحرف السبعة هي : أمر، نهي، أخبار، أمثال، وعد، وعيد، حلال، وحرام.

(2) زجر، أمر، حلال، حرام، محكم، متشابه، أمثال.

المجموعة الخامسة : ما قال به أهل التصوف، وهي : الزهد والقناعة مع اليقين والحزم، والخدمة مع الحياء والكرم، الفقر مع المجاهدة، المراقبة مع الخوف والرجاء، التضرع والاستغفار مع الرضا والشكر، الصبر مع المحاسبة والمحبة، الشوق مع المشاهدة.

هذا وما يقاربها من الآراء التي ذكرها السيوطي في الاتقان.

المجموعة السادسة : ما قاله أهل اللغة، وهي :

(1) الأحرف السبعة هي: التذكير والتأنيث، الشرط والجزاء، التصريف والإعراب، الأقسام وجوابها، الجمع والإفراد، التصغير والتعظيم، اختلاف الأدوات.

(2) الحذف والصلة، التقديم والتأخير، الاستعارة والتكرار، الكناية، الحقيقة والمجاز، المجمل والمفسر، الظاهر والغريب. هذا وما يشبهها مما ذكره السيوطي. (51)

المجموعة السابعة : ما ذهب إليه السجستاني وابن الجزري، وغيرهم من وجوه التغاير والأداء.

والذي يظهر من هذه المجموعات كلها، أنها تختص بقائلها وفق تخصصاتهم. فالمتكلم تكلم عن الموضوعات القرآنية وحصرها في سبع نقاط في ضوء مصطلحاته الكلامية.

والأصولي تكلم عنها وحصرها في سبع نقاط في ضوء مصطلحاته الأصولية، وكذلك الصوفي والفقهاء واللغوي. وهذا لا كلام فيه لأحد إنما الكلام إذا أحق هذه بتفسير الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها الواردة في الحديث النبوي. وهذا خطأ أهل الجمع والتدوين من العلماء بحيث اختلطوا بين المتعلق وغير المتعلق منها.

وما ذهب إليه السجستاني وابن قتيبة والباقلاني وابن الجزري وأمثالهم هو ليس تفسيرا للأحرف السبعة بل المراد منه وجوه التباير التي يكلف القارئ أن يقرأ بها خلال قراءته للقرآن الكريم راعيا مذاهب أئمتها.

إذن المراد من الأحرف السبعة هي اللغات التي نزل القرآن بها لا غير، ولسنا مكلفين بتحديد هذه اللغات، يمكن أن يراد بذلك التوسع لا الحصر في السبعة وهو شائع عند العرب.

قال أبو شامة المقدسي⁽⁵²⁾: أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها، عن اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحدا منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد⁽⁵³⁾.

فذلكة البحث

لقد علمنا في السطور الخالية أن المراد من الأحرف السبعة هي اللغات التي نزل القرآن بها وما قيل فيه غير ذلك لا يتعلق بموضوع الأحرف السبعة، وهو صحيح في حد ذاتها ولها علاقة عميقة بعلوم قائلها لا بالأحرف السبعة، والاختلاف بين العلماء خلاف لفظي ناشئ من تعدد العلوم والأماكن والأزمان.

خلاصة الكلام في السطور

1. لقد أباح الله تعالى أن يقرأ القرآن الكريم في عدة لغات من لغات العرب وهو من باب التوسع دون الحصر في السبعة.
2. الفرق بين لغات العرب من جهة الأداء والتغيير من حيث الإبدال والتقديم والتأخير والإمالة والإدغام ونحو ذلك.
3. القراءات التي نقرأ بها ثابتة من النبي p سماعا وهي من تلك اللغات، ولذلك قد اختلف عمر r مع هشام وهما قرشيان.
4. صورة هذه القراءات هو وجوه تغيير الكلمات والأداء كما قال بذلك السجستاني وابن قتيبة وابن الجزري وغيرهم.
5. مقصود القرآن الكريم هو هداية البشرية، ولذلك يحتوي على الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، والأمثال ونحو ذلك، وهذه وظيفة الفقهاء ولا علاقة له بالأحرف السبعة.
6. لمعرفة طرق الاستنباط من القرآن الكريم لا بد من العلم بالمصطلحات الأصولية من الحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك، وهذه وظيفة الأصوليين ولا علاقة له بالأحرف السبعة.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

7. القرآن يريد من الإنسان أن يتحلى بالأوصاف الحميدة من الاستغناء والزهد، والقتاعة والكرم والصبر وخدمة البشرية. وهذه وظيفة الصوفية ولا علاقة له بالأحرف السبعة.

8. تحديد معنى الأحرف السبعة من المتشابهات بحيث لا مجال لغير أهل العلم أن يتعرضوا لها وإنما يختص بأهل العلم أن يتكلموا عن تحديد مفهومه.

9. الاختلاف في تحديد معنى الأحرف السبعة ليس حقيقيا بل هو صوري مما لا ينبغي أن يشوش على القاري.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه

الهوامش

- (1) ابن حجر العسقلاني (852 هـ) الإصابة في معرفة الصحابة، مطبعة السعادة، القاهرة 1328 هـ، 152/4.
- (2) أحمد بن حنبل (241 هـ) مسند عبد الله بن عباس، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون سن الطبع، 339/7.
- (3) يقال لهم بنو كنانة أيضا، ويقال كنانة طلحة كانت لهم علاقات مع قريش، القلقشندي (821 هـ) أحمد بن علي الفزازي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة، 134/1.
- (4) أصله طاء مأخوذ من طوء فأبدلت الواو ياءا نسبة إلى طي ابن أد. سلمه بن مسلم بن ابراهيم الصحاري من علماء القرن الخامس، كتاب الأنساب، بيروت، طبع 2005م، ص 102. وانظر: ابن حسنون (386 هـ) عبد الله بن الحسين، اللغات في القرآن، ط القاهرة، بدون تاريخ، ص 1.
- (5) البخاري محمد بن إسماعيل (256 هـ) الجامع الصحيح، حديث رقم 894 باب صلاة الطالب والمطلوب.
- (6) الرازي (606 هـ) محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، لبنان، 1990م. 353/10.
- (7) الغزالي، (505 هـ) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد، القاهرة، ص 16.
- (8) أحمد بن حنبل (241 هـ) مسند عبد الله بن سلام، 451/5.
- (9) مسلم بن حجاج (261 هـ) صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم 4813.
- (10) النسائي (303 هـ) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبع أول 1991م، 14/3.
- (11) الطبراني (360 هـ) سليمان بن أحمد أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة 1415 هـ، معجم علي بن سعيد 202/5.
- (12) نفس المصدر، معجم محمد بن أحمد 307/5.
- (13) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711 هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، 47-41/9.
- (14) نفس المصدر.

- (15) ابن حجر العسقلاني (852هـ) فتح الباري على صحيح البخاري، ط القاهرة 1978م، 220/13.
- (16) مالك بن أنس إمام دار الهجرة (179هـ) الموطأ، باب جامع الصيام، حديث رقم 603.
- (17) ابن البارود عبد الله بن علي (307هـ) المنتقى شرح الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت، 310/2.
- (18) النووي يحيى بن شرف الدين (676هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية 1392هـ، 174/1.
- (19) شاه ولي الله، المسوى شرح الموطأ، مكة المكرمة، بدون سن الطبع 190/1.
- (20) جمال الدين القاسمي (1332هـ) محاسن التأويل. دار الفكر، طبع ثاني 1398هـ، 287/1.
- (21) الزركشي، محمد بن بهادر بدر الدين (794هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة، لا يوجد سن الطبع، 213/1.
- (22) السيوطي جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ) زهر الربى حاشية سنن النسائي المجتبى قديمي كتب خانة كراتشي، لا يوجد سن الطبع، 155/1.
- (23) الزركشي، البرهان، 224/1.
- (24) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الأثرية لاهور 1995م ص 146/1.
- (25) نفس المصدر.
- (26) محمد على سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، دار المعارف، بيروت، بدون سن الطبع، ص 60.
- (27) هو سهل بن محمد بن عثمان، من أعلام أهل البصرة في اللغة والأدب، توفي 248 من الهجرة، الأعلام للزركلي 143/3.
- (28) أحمد بن حنبل (241هـ) مسند كعب بن عاصم.
- (29) ابن قتيبة (276هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1391هـ، ص 38-40.
- (30) عبد الفتاح القاضي (1404هـ) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، طبع قراءت أكيد مي لاهور، بدون سن الطبع ص 142.
- (31) نفس المصدر، ص 138.
- (32) نفس المصدر، ص 319.

- (33) نفس المصدر، ص 77.
- (34) مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، بتحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية دمشق سوريا 1972م، 99/3.
- (35) البدر الزاهرة، ص 202.
- (36) هو عبد الله بن مسلم الدينوري القاضي بها، من أئمة اللغة والأدب المتوفى (276هـ) الأعلام للزركلي، 137/4.
- (37) محمد بن الطيب بن محمد، من مناظري الأشاعرة وإمامهم صاحب إعجاز القرآن المتوفى (403هـ) الأعلام للزركلي، 176/6.
- (38) ابن قتيبة (276هـ) تأويل مشكل القرآن ص 36.
- (39) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازي المقرئ المتوفى في نيسابور (454هـ) الأعلام 294/3.
- (40) البدر الزاهرة ص 215.
- (41) محمد عبد العظيم الزرقاني (1376هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون سن الطبع 138/1.
- (42) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي الشيرازي المعروف بابن الجزري خاتمة المحققين في القراءات توفي (833هـ) الأعلام 45/1.
- (43) ابن الجزري (833هـ) النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت 26/1-27.
- (44) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (852هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري 25/9.
- (45) ضياء الدين عتر الدكتور، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار الكتب العلمية بيروت. ص 126.
- (46) أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني، إمام في القراءات واللغة والحديث والفقه، وله كتاب شهير يسمى كتاب الأموال، توفي (234هـ) ابن الجزري، غاية النهاية 18/2.
- (47) ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي (291هـ) الأعلام للزركلي 267/1.
- (48) إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري أبو القاسم، وزير أندلسي من علماء اللغة والأدب توفي (441هـ) الأعلام للزركلي 61/1.
- (49) الإتقان 53/1.

- (50) الإتيان 52/1.
(51) انظر لهذه الأقوال كلها، الإتيان 51/1-54.
(52) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، مؤرخ محدث مقرئ تلمذ على السخاوي عن الإمام الشاطبي أبي القاسم بي فيره، وله شرح مشهور دقيق على القصيدة الشاطبية، توفي (665هـ) الزركلي الأعلام 299/3.
(53) السيوطي، الإتيان، 53/1.

المصادر والمراجع

1. ابن الجارود عبد الله بن علي (307 هـ) المنتقى شرح الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت.
2. ابن الجزري (833 هـ) النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت.
3. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية بيروت 1985ء
4. ابن حجر العسقلاني (852 هـ) الإصابة في معرفة الصحابة، مطبعة السعادة، القاهرة 1328 هـ.
5. ابن حجر العسقلاني (852 هـ) فتح الباري على صحيح البخاري، ط القاهرة 1978م.
6. ابن حسنون (386 هـ) عبد الله بن الحسين، اللغات في القرآن، ط القاهرة، بدون تاريخ.
7. ابن قتيبة (276 هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1391 هـ.
8. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711 هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت.
9. أحمد بن حنبل (241 هـ) مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبية، القاهرة، بدون سن الطبع.
10. الزركلي، خير الدين (1976ء) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، لبنان 1984ء
11. البخاري محمد بن إسماعيل (256 هـ) الجامع الصحيح.
12. جمال الدين القاسمي (1332 هـ) محاسن التأويل. دار الفكر، طبع ثاني 1398 هـ.
13. الرازي (606 هـ) محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، لبنان، 1990م.

14. الزركشي، محمد بن بهادر بدر الدين (794 هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة، لا يوجد سن الطبع.
15. سلمه بن مسلم بن ابراهيم الصحاري من علماء القرن الخامس، كتاب الأنساب، بيروت، طبع 2005م.
16. السيوطي جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ) زهر الربى حاشية سنن النسائي المجتبى قديمي كتب خاتمه كراتشي، لا يوجد سن الطبع.
17. السيوطي جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ) الاتقان في علوم القرآن المكتبة الأثرية لاهور 1995 م
18. شاه ولي الله، المسوى شرح الموطأ، مكة المكرمة، لا يوجد سن الطبع.
19. ضياء الدين عتر الدكتور، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها . دار الكتب العلمية بيروت 1985ء
20. الطبراني (360 هـ) سليمان بن أحمد أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة 1415 هـ.
21. عبد الفتاح القاضي (1404 هـ) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ط قراءت اكيد مى لاهور باكستان.
22. الغزالي، (505 هـ) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد، القاهرة.
23. القلقشندي (821 هـ) أحمد بن علي الفزازي، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، القاهرة. لا يوجد سن الطبع.
24. مالك بن أنس إمام دار الهجرة (179 هـ) الموطأ.
25. محمد عبد العظيم الزرقاني (1376 هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. لا يوجد سن الطبع.
26. محمد علي سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، دارالمعارف، بيروت، بدون سن الطبع.
27. مسلم بن حجاج (261 هـ) صحيح مسلم.
28. مكي بن أبي طالب القيسي (437 هـ) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، بتحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية دمشق سوريا 1972م.
29. النسائي (303 هـ) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبع أول 1991م.
30. النووي يحيى بن شرف الدين (676 هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية 1392 هـ.